

تفسير البحر المحيط

@ 417 @ الْمَسِيحُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا
إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ { قرأ جعفر بن محمد : إنما المسيح على وزن السكيت .
وتقدم شرح الكلمة في { بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ } ومعناها ألقاها إلى
مريم أوجد هذا الحادث في مريم وحصله فيها . وهذه الجملة قيل : حال . وقيل : صفة على
تقدير نية الانفصال أي : وكلمة منه . ومعنى روح منه أي : صادرة ، لأنه ذو روح وجد من غير
جزء من ذي روح ، كالنطفة المنفصلة من الأب الحي ، وإنما اخترع اختراعاً من عند الله
وقدرته . وقال أُمِّيُّ بن كعب : عيسى روح من أرواح الله تعالى الذي خلقها واستنطقها بقوله
: { أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ } قَالُوا بَلَى { بعثه الله إلى مريم فدخل . وقال الطبري وأبو
روق : وروح منه أي نفخة منه ، إذا هي من جبريل بأمره . وأنشد بيت ذي الرمة : % (فقلت
له اضممها إليك وأحيها % .
بروحك واجعله لها قيتة قدرا .
%) .

يصف سقط النار وسمي روحاً لأنه حدث عن نفخة جبريل . وقيل : ومعنى وروح منه أي رحمة .
ومنه { وَأَنزَلْنَاهُ فِي رُوحِ مِّنْهُ } . وقيل : سمي روحاً لأحياء الناء به كما يحيون
بالأرواح ، ولهذا سمي القرآن روحاً . وقيل : المعنى بالروح هنا الوحي أي : ووحى إلى
جبريل بالنفخ في درعها ، أو إلى ذات عيسى أن كن ، ونكر وروح لأن المعنى على تقدير صفة
لا على إطلاق روح ، أي : وروح شريفة نفيسة من قبله تعالى . ومن هنا لاتبداء الغاية ،
وليست للتبعيض كما فهمه بعض النصارى فادعى أن عيسى جزء من الله تعالى ، فرد عليه علي بن
الحسين بن واحد المروزي حين استدل النصراني بأن في القرآن ما يشهد لمذهبه وهو قوله :
وروح منه ، فأجابه ابن واحد بقوله : { وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَاوَاتِ
وَمَّا فِى الْأَرْضِ * جَمِيعاً مِّنْهُ } . وقال : إن كان يجب بهذا أن يكون عيسى جزءاً منه
وجب أن يكون ما في السموات وما في الأرض جزءاً منه ، فانقطع النصراني وأسلم . وصنف ابن
فايد إذ ذاك كتاب النظائر . .

{ مَّا كَانَ اللَّهُ } أي الذين من جملتهم عيسى ومحمد عليهما السلام . .
{ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً } خبر مبتدأ محذوف أي : الآلهة ثلاثة . قال لزمخشري :
والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة ، وأن المسيح ولد
الله من مريم . ألا ترى إلى قوله : { قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمَّىَ إِلَهِينِ .

مِنْ دُونِ اللّٰهَةِ قَالَهُ } . وقالت النصارى : المسيح ابن الله ، والمشهور المستفيض عنهم أنهم يقولون في المسيح لاهوتيته وناسوتيته من جهة الأب والأم ، ويدل عليه قوله : إنما المسيح عيسى ابن مريم ، فأثبت أنه ولد لمريم أتصل بها اتصال الأولاد بأمهاتهم ، وأن اتصاله بالله عز وجل من حيث أنه رسوله ، وأنه موجود بأمره ، وابتدأه جسداً حياً من غير أب ينفي أنه يتصل به اتصال الأبناء بالآباء . وقوله : { سُبْحَانَكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ وَلَدٌ } وحكاية الله أوثق من حكاية غيره ، وهذا الذي رجحه الزمخشري قول ابن عباس قاله يريد بالتثليث : الله تعالى ، وصاحبه ، وابنه . وقال الزمخشري أيضاً إن صحت الحكاية عنهم أنهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة أقانيم : أقنوم الأب ، وأقنوم الابن ، وأقنوم روح القدس ، وأنهم يريدون بأقنوم الأب الذات ، وبأقنوم الابن العلم ، وبأقنوم روح القدس الحياة ، فتقديره الله ثلاثة انتهى . وقال ابن عطية : يحتمل أن يكون التقدير المعبود ثلاثة ، أو الآلهة ثلاثة ، أو الأقانيم ثلاثة . وكيفما تشعب اختلاف عبارات النصارى فإنه يختلف بحسب ذلك التقدير انتهى . وقال الزجاج : تقديره إلهاً ثلاثة . وقال الفراء وأبو